بسم الله الرحمن الرحيم

الاثنين 18/11/2013 الشيخ الطبيب محمد خير الشعَّال

سلسلة التفسير

سورة الكهف (28)

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً وعملاً متقبلاً يا أكرم الأكرمين. أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً، وارزقنا اجتنابه. نسألك علم الخائفين منك، وخوف العالمين بك.. وبعد:

فنحن في تفسير آيات من سورة الكهف.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا * إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا * فَأَتْبَعَ سَبَبًا * حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا * قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا * وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا * ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا * حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا * كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا * ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا * حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا * قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا * قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا * آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا * فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا * قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ [الكهف: 83-98].

﴿ حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ ﴾ .

تتحدث الآيات عن مَلِكٍ صالح مَرَّ في غابر الأيام يلقب بذي القرنين، **وهو**: عبد صالح أقامه الله تعالى في مقام الملك وملَّكه مشارق الأرض ومغاربها، حتى أنه يذهب إلى أقصى الأرض عند مغرب الشمس فيجدها تغرب -كما يظهر في نظر العين- في بركة ماء وطين ساخنة.

﴿ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا * قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا * وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴾ .

مَكَّن الله لذي القرنين في المغرب حتى أنه كان يعذب ويكافئ ويرفع ويدني من يشاء ضمن أوامر الله تعالى، والعدلِ في مملكته، فكان يعذب من ظلم عذاباً أليماً، ثم يُرَدُّ إلى ربه فيعذبه عذاباً نكراً، وأما من عدل وأحسن وأسدى خيراً للبلاد فيكافئه ويحسن إليه.

﴿ حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا ﴾ .

لما وصل ذو القرنين إلى أقصى الأرض وجد عباداً ما زالوا بدائيين إلى حد لا يملكون فيه أبنية أو عمارات لتكون حوائل بينهم وبين الشمس.

﴿ حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا * قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا * قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا * آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴾ .

لما مضى ذو القرنين باتجاه الشمال الشرقي -ويقال أنها في أرمينية- وجد قوماً بسطاء مظلومين اشتكوا إليه جيرانَهم يأجوج ومأجوج من سوئهم وفجورهم وظلمهم، وعرضوا عليه الأموال مقابل أن يجعل بينهم وبين من يؤذيهم سداً، فقال: لا أريد منكم مالاً؛ لأن الدفاع عن المظلومين واجب علي، ولكن ساعدوني بمنعهم من الوصول إليكم.

طلب ذو القرنين إحضار قطع حديد ليجمعها فوق بعضها البعض ويملأ الوادي إلى رؤوس الجبال حديداً، ثم سلط عليه حرارة عالية حتى صار حديداً مصهوراً، ثم صب فوقه نحاساً مذاباً فالتحم الحديد مع النحاس وصارا كتلة واحدة شديدة.

﴿ فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴾ .

لما جاء قوم يأجوج ومأجوج ووجدوا السد فما اسطاعوا أن يتسلقوا عليه لنعومته، وما استطاعوا أن يخرقوه لمتانته.

﴿ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴾

قال ذو القرنين: انهزام (يأجوج ومأجوج) أمام هذا السد فضل من الله، لكن إذا كان يوم القيامة فسيُنسف السد ويخرجون.

هذا ما ذكر عن ذي القرنين في القرآن الكريم والإسقاط العملي للآية يقول: **كيف يُمَكَّنُ الإنسان في شأنه؟**

يُمَكَّنُ الموظف على أساس انضباطه وأدبه وإتقانه، فإن فعل ذلك رُقِّيَ في عمله، ومُكِّنَ فيه، وإن خالف عوقب وربما فُصِلَ.

يُمَكَّنُ الطبيب في عيادته بحيث يُقبل الناس عليه مادحين شاكرين مثنين، ويبذلون له من المال ما أراد عن طريق إتقانه للعمل، وحسن أدبه مع الناس، وإكرامهم، وبذل ما استطاع في خدمتهم.

يُمَكَّنُ المَلِكُ في ملكه: بأن يعدل بين الرعية وينصر المظلوم.

فالعدالة: أن تضع كل شيء في موضعه، فيكافأ المحسن ، ويعاقب المسيء.

أفضل عبادة الابن مع أمه المريضة هي خدمتها، فتمكين الله تعالى له في الدنيا والآخرة متوقف على رضاء أمه عنه، فإن ترك أمه وأخذ يصلي كل يوم مئة ركعة نافلة فسيكون بفعله مسيئاً.

أفضل عبادة يتقرب فيها المعلم إلى الله عز وجل بأن يخدم طلابه...

وأفضل شيء يفعله المِلِكُ ليقربه إلى الله تعالى، ويورثه التمكين في الأرض بأن يعدل بين الناس من جهة، وأن يدفع الظلم عن المظلومين من جهة أخرى.

وهذا هو ذو القرنين قد مُكِّنَ له في مشرق الأرض ومغربها غير أن الله خَصَّ وَسَلَّطَ الضوء على أمرين اثنين من سيرته الطويلة وهما:

أ. أنه كان عادلاً، فأكرم المحسنين وعاقب المسيئين.

ب. وأنه رد الظلم عن المظلومين.

((قال كسرى: **اتفقت ملوك العجم على أربع خصال: أن الطعام لا يؤكل إلا شهوة، والمرأة لا تنظر إلا إلى زوجها، والمُلْكُ لا يصلحه إلا الطاعة، والرعية لا يُصلحها إلا العدل.**

وكتب عامل حمص إلى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: إن مدينة حمص قد تهدمت واحتاجت إلى الإصلاح، فكتب إليه عمر: حَصِّنْهَا بالعدل ونَقِّ طرُقَها من الجَوْر، والسلام.

وقد وقع المأمون في قضية متظلم من عمرو بن مسعدة فكتب إليه يقول: يا عمرو، عَمِّرْ نعمتَك بالعدل فإن الجور يهدمها)) [سراج الملوك لأبي بكر الطرطوشي].

أبو الفضل محمد بن عبد الوهاب السنباطي عالم من وفيات 925 هـ ألف كتاباً اسمه (**تحرير السلوك في تدبير الملوك**) تحدث فيه عن إقامة العدل في الأرض، فقال:

((**والمواضع الَّتِي ينظر فِيهَا ولي الأمر ويحكمها عشرَة:**

الأول: النّظر فِي تعدِي الْوُلَاة على الرّعية، وَأَخْذِهم بالعنف والعدول عَن سيرة الْعدْل المرعية فَيكون لمسيرهم متصفحاً، ولأحكامهم متعرفاً، ولأمورهم مستطلعاً، وَعَن أَحْوَالهم مستكشفاً؛ ليقويهم إِن أنصفوا، ويكفهم إن عَسَفُوا، ويستبدل بهم إِذا هُمْ بِالْعَدْلِ لم يتصفوا.

حُكِيَ أَن عمر بن عبد الْعَزِيز رَضِي الله عَنهُ خطب فِي النَّاس فِي أول خِلَافَته خطْبَة أعرب بهَا عَن قِيَامه فِي الله ومعداته فَقَالَ: أَيهَا النَّاس أوصيكم بتقوى الله فَإِنَّهُ لَا يقبل غَيرَهَا وَلَا يرحم إِلَّا أَهلهَا، وَقد كَانَ قوم من الْوُلَاة منعُوا الْحق حَتَّى اشْتُرِيَ مِنْهُم شِرَاء، وبذلوا الْبَاطِل حَتَّى افتُدِيَ مِنْهُم فدَاء)).

فمن كان مدير شركة ولديه مدراء مَرْكَزِيِّيْنَ فليعلم أنهم قد يخبروه بأخبار باطلة يبدِّلون فيها الحقائق، فالواجب على الحاكم أن ينظر في المظالم وفي تعد الولاة على الرعية.

((**الثَّانِي: النّظر فِي جَوْرِ الْعمَّال فِيمَا يَجْبُونَه من الْأَمْوَال فَيرجع فِيهِ إِلَى القوانين العادلة وَينظر عُمَّالَه فِيمَا استزادوه فَإِن رَفَعُوهُ إِلَى بَيت المَال أَمر برده على أَصْحَابه وَإِن أَخَذُوهُ لأَنْفُسِهِمْ استرجعه مِنْهُم لأربابِهِ.**

فَقَالَ الْمهْدي رَحمَه الله مقَالَة عدل فِي الْمقَال: على أَن أُقيم حَقًّا وأزيل ظلماً وَأَن أَجْحَفَ بَيت المَال)).

فإذا كان الجباة يأخذون المال ليملؤوا فيه الخزينة المركزية فلْيُعده إلى أصحابه، وإن كان يوضع في جيوب الجباة فعليه أن يعيده لمن أخذ منهم.

((الثَّالِث: النّظر فِي كُتَّاب الدَّوَاوِين والإحاطة بأحوالهم؛ لأَنهم أُمَنَاء الْمُسلمين على ثُبُوت أَمْوَالهم فِيمَا يستوفونه مِنْهُم ويوفرونه لَهُم.

حكي أَن الْمَنْصُور رَحمَه الله بلغه جمَاعَة من كتاب ديوانه زَوَّرُوا فِيهِ وغيَّرُوا فَأمر بإحضارهم إِلَيْهِ وَتقدَّمَ بتأديبهم.

وَهَذِه الْأَقْسَام الثَّلَاثَة لَا يحْتَاج النَّاظر فِي الْمَظَالِم فِي تصفحها إِلَى متظلم)).

((الرَّابِع: النّظر فِي تظلم الْمُسْتَرْزِقة من بَيت المَال من الأجناد وَالْعُلَمَاء والقضاة وَغَيرهم من نقْصِ أَرْزَاقهم وتأخيرها عَنْهُم أَو إجحاف النُظَّارِ.

كتب بعض وُلاَة الأجناد إِلَى الْمَأْمُون رَحمَه الله: إِن الْجُنْدَ قد شَغَبُوا ونهبوا وَسَاءَتْ أَخْلَاقهم، فَكتب إِلَيْهِ الْمَأْمُون: لَو عَدَلْتَ لم يَشْغَبُوا، وَلَو قَوِيَتْ لم ينهبوا، وَعَزَلَه عَنْهُم وَزَاد أَرْزَاقهم)).

فالموظفون والجند والعلماء والقضاة هم موظفون ولهم معاشات شهرية فالواجب أن ينظر في تظلمهم.

((الْخَامِس: النّظر فِي رد الغصوب وَهِي ضَرْبَان:

أ. غصوب سلطانية قد تَغَلَّبَ عَلَيْهَا وُلَاة الْجور والعدوان.

ب. وغصوب تَغَلَّبَ عَلَيْهَا ذَوُو الْأَيْدِي القوية)).

قد يكون للبعض وسائط ومعارف يتسلطون بهم على بعض العقارات، فعلى الحاكم أن ينظر فلعلهم يؤذون العباد ظلماً يملأ القلوب بالأضغان والأضغان من أسباب زوال الملوك.

((السَّادِس: النّظر فِي مشارفة الْأَوْقَاف ليُجْرِيَهَا على سَبِيلهَا ويُمْضِيهَا على شُرُوط واقِفِها)).

مسألة الوقف مسألة عجيبة وقد أُخذت فكرة جائزة نوبل لمن قام بعمل علمي من المسلمين وأوقافهم فكانت الجائزة محفزاً للعالم لإنتاج مواد علمية وصناعية وفنية وفكرية جديدة لكن على أساس أن هذه الجائزة تعطى لمستحقيها وفي مكانها.

يبنى الآن حول الكعبة فندق كبير يتسع لآلاف الحجيج على أرض كان قد أوقفها سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه وكتب عليه وقفُ عثمان بن عفان.

فالوقف يحرك الدنيا لكن على أساس أن يصل المال الموقوف إلى من أُوقف عليه.

هناك وقف لطلاب العلم.

وقف لأجل المنقطعين من أبناء السبيل.

وقف للنساء الغاضبات فإذا تشاجرت امرأة مع زوجها كان لها مأوى تأوي إليه ريثما يصلح الحال بينهما وبين زوجها.

وقف القضامة (الحُمُّصْ المشوي)، فكانت تملأ جيوب كل تلميذ يذهب إلى المدرسة تحفيزاً لهم على العلم.

سيدنا صلاح الدين الأيوبي جعل وقفاً في دمشق اسمه وقف ميزاب الحليب، فكانت كل أسرة لها أطفال رُضَّع ولا تملك ثمن الحليب تذهب لتملأ الحليب من الميزاب.

((السَّابِع: النّظر فِي تَنْفِيذ مَا توقَّف من أَحْكَام الْقُضَاة لضعفهم عَن إنفاذه وعجزهم عَن الْمَحْكُوم عَلَيْهِ؛ لِعُلُوِّ قَدره وَعِظَمِ خطره وَقُوَّةِ يَده وتفرُّدِه وامتناعه)).

أحياناً تصدر أحكام قضائية ضد أشخاص لهم رتب مالية عالية أو جاه أو سلطان فلا ينفذ عليهم الأحكام، فعلى ولي الأمر أن يلاحق ذلك ويلزمهم بهذا التنفيذ.

((حكي أَن الْمَأْمُون كَانَ يجلس للمظالم يَوْم الْأَحَد فَنَهَضَ ذَات يَوْم من مجْلِس نَظَرِه وَالشَّمْس قد زَالَت (صلاة الظهر) **فَتَلَقَّتْهُ امْرَأَة فِي ثِيَاب رثَّة وَقَالَت:**

يَا خير منْتَصفٍ يُهدي لَهُ الرَشَدُ ... وَيَا إِمَامًا بِهِ قد أشرق الْبَلَد

تَشْكُو إِلَيْك عميدَ القومِ أرملةٌ ... عدا عَلَيْهَا فَمَا يَقْوَى لَه أحد

فابْتَزَّ مِنْهَا ضِيَاعًا بعدَ مَنْعَتِهَا ... لَمَّا تَفَرَّقَ عَنْهَا الْأَهْلُ وَالْولدُ

فَأَطْرَقَ الْمَأْمُون مُتَفَكِّرَاً فِي مقالتها ثمَّ رفع رَأسه وَقَالَ مجيبا لَهَا:

من دونِ مَا قُلت غِيلَ الصَّبْرُ وَالْجلدُ ... وأقْرحَ الْقلبَ هَذَا الْحزنُ والكَمَدُ

هَذَا أَوان صَلَاة الظّهْر فانصرفي ... وأحضري الْخصم فِي الْيَوْم الَّذِي أَعِدُ

الْمجْلسُ السبت إن يقْضَى الْجُلُوسُ ... أُنصِفْكِ مِنْهُ وإلا المجلس الْأَحَد

فَانْصَرَفَتْ وَحَضَرتْ يَوْمَ الْأَحَد أَوَّلَ النَّاس فوقفت فِي مجْلِس المتظلمين، فَقَالَ لَهَا الْمَأْمُون: من خصمك؟

فَقَالَت: الْقَائِمُ على رَأسك الْعَبَّاس بن أَمِير الْمُؤمنِينَ.

فَقَالَ الْمَأْمُون لقاضيه يحيى بن أكثم: أَجْلِسهَا مَعَه وَانْظُر بَينهمَا.

فأُجلست مَعَه والمأمون ينظر إِلَيْهَا فَجعل كَلَامُهَا يَعْلُو، فزجرها بعض الْحجاب فَقَالَ الْمَأْمُون: دَعْهَا فَإِن الْحق أنطقها وَالْبَاطِلُ أخرَسه، وَأمر بِرَدِّ ضياعها إِلَيْهَا وعُقُوبة العباس بِظُلْمِهِ لَهَا)).

((الثَّامِن: النّظر فِيمَا عَجزَ عَنهُ الناظرون فِي الْحسْبَة من الْمصَالح الْعَامَّة وَالْمَنَافِع الشاملة)).

نظام الحُسبة نظام يؤمر فيه بالمعروف للناس السيئين أو الناس الذين يريدون إشاعة فاحشة في المجتمع، فإذا أراد أحدهم أن يفتح داراً للخمر أو القمار أتى أناس فمنعوه من فعلهم فإن عجزوا قام بذلك ولي الأمر.

((التَّاسِع: النّظرُ فِي مُرَاعَاة الْعِبَادَات الظَّاهِرَة كالجُمع والأعياد وَالْحجّ وَالْجِهَاد من تَقْصِير فِيهَا أَو إخلال بشروطها الْوَاجِبَة على الْعباد فحقوق الله تَعَالَى أولى أَن تستوفى وفروضه أَحَق أَن تُؤَدّى كَمَا أَرَادَ)).

علي الحاكم أن يراعي المظاهر الإسلامية من أذان وإقامة الجماعة والجمع... فهذه مظاهر تدل على هوية البلد.

((الْعَاشِر: النّظر بَين المتشاجرين وَالْحُكم بَين المتنازعين وَلَا يَخْرُجُ عَن مُوجب الْحق وَمُقْتَضَاهُ وَلَا يسوغ لَهُ أَن يحكم بَينهم بِمَا لَا يحكم بِهِ الْحُكَّام والقضاة)).

ليس الحاكم مُلزماً بأن يحكم بنفسه فله أن يوظف قضاة وحكاماً يباشرون هذا الأمر ويرى في مشكلاتهم.

ذكر الإمام أبو الفضل هذه النقاط العشر؛ لأن العدل إذا شاع بين الناس مُكِّنَ للملك واستتب الأمن بين الناس، أما إذا كان الظلم طاغياً والعدل معدوماً فأنَّى للطمأنينة والسلام أن تشيع بين الناس، وقد قال الله عن ذي القرنين: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ بإخباره الله عن أسباب الأمن والتمكين في الأرض ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ باتباعه لهذه الأسباب وممارسته للعدل في شرق الأرض وغربها.

عن شُريح قال: **((لما توجه علي إلى حرب معاوية افتقد درعاً له، فلما انقضت الحرب ورجع إلى الكوفة أصابَ الدرعَ في يد يهودي يبيعها في السوق، فقال له علي: يا يهودي، هذه الدرع درعي، لم أَبِعْ ولم أَهَبْ. فقال اليهودي: درعي وفي يدي. فقال علي: نصيرُ إلى القاضي.**

فتقدما إلى شُريح، فجلس عليٌّ جنب شريح وجلس اليهودي بين يديه، فقال علي: لولا أن خصمي ذمي لاستويت معه في المجلس، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «صغروا بهم كما صغر الله بهم»

فقال شُريح: قل يا أمير المؤمنين. فقال: نعم، إن هذه الدرع التي في يد اليهودي درعي، لم أَبِعْ ولم أَهَبْ. فقال شريح: ما تقول يا يهودي؟ فقال: درعي وفي يدي. فقال شريح: يا أمير المؤمنين بينة , قال: نعم. قَنْبُر والحسن يشهدان أن الدرع درعي. قال: شهادة الابن لا تجوز للأب، فقال: رجل من أهل الجنة لا تجوز شهادته؟ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة»!!

فقال اليهودي: أمير المؤمنين، قَدَّمني إلى قاضيه، وقاضيه قضى عليه، أشهد أن هذا الحق، أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وأن الدرع درعك، كنت راكباً على جملك الأَوْرَق وأنت متوجه إلى صفين، فوقعت منك ليلاً فأخذتها.

وخرج يقاتل مع علي الشراة بالنهروان فقُتِلْ)) [حلية الأولياء لأبي نعيم].

فالعدل يحول العدو إلى صديق، والسيئ إلى محب، والظلم يحول أقرب الأقربين إلى عدو.

نكتة تفسيرية أخذت من آية: ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا * قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ فكيف يجمع بين ﴿لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ وبين ﴿قَالُوا﴾ ؟!

قالوا: هذا دليل أن الظلم يُنْطِقْ؛ ولذلك كانت دعوة المظلوم مستجابة.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ: الصَّائِمُ حَتَّى يُفْطِرَ، وَالإِمَامُ العَادِلُ، وَدَعْوَةُ المَظْلُومِ يَرْفَعُهَا اللَّهُ فَوْقَ الغَمَامِ وَيَفْتَحُ لَهَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ وَيَقُولُ الرَّبُّ: وَعِزَّتِي لَأَنْصُرَنَّكِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ» [الترمذي].

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قَالَ رَبُّكُمْ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي، لَأَنْتَقِمَنَّ مِنَ الظَّالِمِ فِي عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، وَلَأَنْتَقِمَنَّ مِمَّنْ رَأَى مَظْلُومًا فَقَدَرَ أَنْ يَنْصُرَهُ فَلَمْ يَفْعَلْ» [الطبراني].

وصلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

والحمد لله رب العالمين.